ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

The Attitudes and Opinions of Orientalists Regarding the Status and Activities of Women in Abbasid Society until 334 AH/945 CE

*** Corresponding Author**

Mohammad Taha Sabir
Fadhil Jabir Dahi
College of Education for Human Sciences, University of Wasit

Email: Mohammad.taha.his96@gmail.com
Fjabir@uowasit.edu.iq

Keywords: Orientalism, Muslim Women, Abbasid Era, Middle Ages

Article history:
Received: 2025-06-06
Accepted: 2025-07-06
Availablonline: 2025-08-01

ABSTRACT

Muslim women have been the focus of attention for many Orientalists, with differing opinions on this topic, particularly regarding women's roles and activities during the Abbasid era, which represented the pinnacle of Islamic civilization. This study aims to address the contradictions raised by Orientalists regarding Muslim women, while seeking to explain the reasons for Muslim historians' interest in documenting women's lives—an aspect often overlooked by Western researchers, particularly in political and spiritual contexts. Furthermore, the study seeks to compare the status of women in Islamic society with that of medieval European society, shedding light on the image and status of women in the Middle Ages. Hence, this study compares the activities of Muslim women with those of medieval European women, the home of Orientalists. Despite the restrictions imposed on women by Islamic society, they emerged during the Abbasid era as a force that competed with men for power. Furthermore, their spiritual influence as Sufis and ascetics was admired and praised by authors. On the other hand, women's activity in society has aroused the interest of authors in writing about them in separate works devoted to that purpose, as will become clear through the pages of this research.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution License (CC BY 4.0). https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/.
DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss3.1104

مواقف وآراء المستشرقين من أحوال المرأة ونشاطاتها في المجتمع العباسي 132- 334هـ/750-945م

الباحث محمد طه صبر/ كلية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط
أ.د فاضل جابر ضاحي/ كلية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط

المُستخلص

شكلت المرأة المسلمة محور اهتمام بارز لدى عدد كبير من المستشرقين، إذ تباينت آراؤهم بشأنها من مستشرق إلى آخر ، بخاصة ما تعلق بدورها ونشاطها خلال العصر العباسي الذي يُعد مرحلة مثلت ذروة نشاط الحضارة الإسلامية . وتهدف هذه الدراسة إلى معالجة التناقضات التي أوردها المستشرقون عن النساء المسلمات، وتسعى في الوقت نفسه إلى تفسير أسباب اهتمام المؤرخين المسلمين بتدوين أخبار النساء، وهو جانب كثيرًا ما تجاهله الباحثون الغربيون ، خصوصًا في المجالات السياسية والروحية. كما تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة وضع المرأة في المجتمع الإسلامي ونظيره الأوروبي خلال العصور الوسطى، بهدف استجلاء صورة المرأة ومكانتها في العصور الوسطى

الكلمات المفتاحية : الاستشراق ، المرأة المسلمة ، العصر العباسي ،العصور الوسطى

المقدمة :

أدت النساء أدوارا متعددة إبان حكم العباسيين وباتت على قدم المساواة مع الرجال او بعبارة أدق بدرجة الأنداد بصورة أكثر مما في العهدين اللذان سبقا حكم العباسيين على الرغم من التحذيرات الاجتماعية التي عرف بها المسلمون (هارتمن ،2021،ص 215-221) . فسياسة المجتمع ومعاييره إبان حكم العباسيين تغيرت نتيجة تلاقح الثقافات بين الشعوب والأمم ومن بينها علاقة العباسيين مع النساء (الربيعي والقريشي،2024،ص 101-103)

لكن السؤال يبقى ما طبيعة الرؤية الاستشراقية لمكانة المرأة في المجتمع الإسلامي آنذاك وسواء كان ذلك في العصر العباسي او قبله او حتى في عصرنا الحالي.؟ وما طبيعة الأدلة التي اعتمدتها الرؤية الاستشراقية؟ وما مصادرها .؟

وحتى نجيب عن ذلك يرى فرانز روزنثال أن الاستعانة بظروف الحاضر لدراسة الماضي وتفسيره لا يمكن إلا أن يزيد من التناقضات التي يروم المؤرخ حلها واكتشافها(Rosenthal،1977،22-3 PP)

إن بعض رؤى المستشرقين عن أحوال المرأة في المجتمع الإسلامي اتسمت بكونها غير دقيقة ، من خلال الشواهد المفردة والحالات الشاذة عن نشاط المرأة أو ما قدمته من إسهام ،اذ اتسم انه كان مقيداً بيد ولي الأمر، من قبيل الزواج لكلا الجنسين بعمر مبكر والميراث وحتى خروجها من بيتها ارتبط برضا الزوج وموافقته بغض النظر عن طبيعة الحاجة التي دعت المرأة للخروج والسعي لإتمام المهمة . فضلاً عن أن الجواري لم يتمتعن بذات مستوى الاحترام والحقوق التي تمتعت بها المرأة الحرة .وأيضا قضية تعدد الزوجات ،التي أحلها الشرع وحددت بأربع نسوة او ما ملكت يمين الرجل على أن هذا الحال لم يكن يشمل جميع أفراد المجتمع الإسلامي بل القادرين منهم والأثرياء مادياً ،اذ اكتفى الميسورين مادياً من المسلمين بالمفهوم التقليدي للزواج أي الزوجة الواحدة ،لان تعدد الزيجات تطلب نفقات ووقت أكثر للرجل بين زوجاته

(كاهن ،2010، ص 198) .ثم ان تعدد الزوجات لم يكن غايته إشباع للرغبات بل هو أحد أشكال نظام التكافل الاجتماعي للنساء الأرامل والمطلقات بدل الانجرار والانحراف نحو طرق الرذيلة والفساد.

ويبدو لنا أن النظرة الضيقة النظرة التي تبناها المستشرقين لمكانة المرأة تقف خلفها جملة من العوامل:

الفهم الخاطئ لبعض الآيات القرآنية الكريمة (بالتا،2023، ص 93-100 ؛ 141-150)

الشذوذ في الروايات التاريخية والانفراد بحادثة معينة لا نجد لها نظيراً في باقي كتابات المؤرخين (هامبلي،2014م،ص 77-88) .

النقل والاقتباس مما دونه الأدباء عن أخبار المتيمين والعشاق، او ما ادعت به هذه الفئة من المؤلفين عن أخبار النساء . (Matthew Gordon& Kathryn A. Hain 2017 ,PP 53-54)

قصص ألف ليلة وليلة التي ارتبط بعضها بتاريخ بغداد (كلو ،1986،ص 65-71، مروزي،2023،ص 77-87) .

غالباً ما بنيت بعض التفسيرات على المشاهدات التي قدمها الرحالة الأوربيون للبلاد الإسلامية في العهود المتأخرة منذ زمن المماليك حتى زمننا المعاصر ،فمن خلالها بنيت رؤى مشوهة عن المجتمع الإسلامي ،بالرغم من أن أولئك الرحالة لم يتسن لهم الاستقرار إلا لمدة تتعدى بضع أيام فأنى لهم الاطلاع على خبايا المجتمع الإسلامي؟ (هامبلي،2014،ص 202 ،ومن الأمثلة على تلك الرحلات التي قام بها التاجر الإيطالي ميشولام بن مناحيم الفولتيري في عهد المماليك) .

الزواج المبكر الموضوع الذي كان ولا يزال الإشكالية الأكثر جدلاً :

وبالحديث عن الزواج المبكر وبصفة أوربا بلد المستشرقين وموطنهم الأول لا بد لنا من إمعان النظر في تاريخهم حتى يكون بمقدورنا حسم وموازنة تناقض وإشكال المستشرقين عن الزواج المبكر في الإسلام (Kotapish, 2000,P18) ،إذ كان الزواج في الأعمار التي تتراوح متوسطها بين الثانية عشر والرابع عشر شائعاً جداً في اوربا عند اليهود والنصارى على حد سواء ،وبدعم من رجال الدين من كلتا الديانتين الذين شرعوا ذلك) Lowry,2007,P79 ؛ Fleming,2000,P22 (! فكاثرين الثانية إمبراطوره القسطنطينية 713-732هـ/1313-1331م لما بلغت من العمر عشرة أعوام تزوجت فيليب الأول713-732 هـ /1313 -1331م ملك البانيا الذي أمسى إمبراطوراً، في ذات العام الذي تربعت على عرش الإمبراطورية البيزنطية) (M. Setton&W Hazard,1975,Vol3,P109 .

كما أن كثير من زيجات النبلاء كانت غايتها بناء تحالفات سياسية وتوسيع الممتلكات لملوك وأمراء اوربا على حد سوا) Lowry,2007,P79) ، فالإمبراطورة كاثرين الأولى خطبت لثلاث مرات في محاولة لإتمام صفقات سياسية الأولى سنة687 هـ/ 1288م ، من قبل ميخائيل التاسع باليولوج 694-720هـ/1294-1320م قبل تتويجه إمبراطورا للقسطنطينية بستة اعوام (Nicol,2008,P151) ، وتقدم لخطبها سنة 695هـ/ 1295م فريدريكو الثالث ملك صقلية 1295-1337م 1991، Schein) (p159، ، وفي المرة الثالثة جيمس الراهب ت731 هـ/1330م ابن جيمس الثاني ملك جزيرة ميورقة الاسبانية الذي قدر له الحكم مرتين 675-685هـ/1276-1286، 1295-1311م في عام 698 هـ/ 1298م (Amari,2007,241) ،حتى انتهى المطاف بها سنة 701هـ/ 1301م بأن صارت زوجة ثانية لفيليب الثاني 669-684هـ/ 1270-1285م Brown,1991,P178)) .

إن التفسير الأكثر قبولاً لظاهرة الزواج المبكر عند المسلمين هو ان المسلم يؤجل البناء بزوجته إذا كانت دون عامها التاسع أي إن حق الفراش لا يكون إلا بعدما تكون المرأة مهيئة للحمل والولادة وقبل هذه المدة في مرحلة تكون غير مستعدة

للإنجاب والعناية بالمولود ،والشاهد الذي يؤكد رأيه في الإطار الزمني لموضوع بحثنا زواج المأمون ببنت وزيره بوران بنت الحسن بن سهل سنة 202هـ /817م ودخل بها بعد مرور ثمانية أعوام من عقد قرانهما (الطبري،1967،ط2،ج10/ص109؛الخطيب البغدادي، 2002م،ج7/ص331؛ ابن الجوزي،ج1/ص 1992،109م) .

بالعودة لدور النساء في عهد العباسيين ومواقف المستشرقين من ذلك ففي السياسة وإصدار الأوامر ومؤامرات البلاط ،لبعض النسوة دور في صياغة القرار السياسي أكثر من الخلفاء أنفسهم في بعض الحالات على أن التحليل النفسي لمثل هذه الحالات وبخاصة في البلاط لكون الخليفة ذا شخصية ضعيفة فضل اللهو والترف على النظر في أمر السياسية والرعية ،لدرجة أن النساء صرن مسؤولات عن إبداء القرار والرأي دون الرجوع الى الخليفة نفسه وإبلاغه !!،ومن الشواهد على ذلك أن الخيزران ت173هـ/789م تمتعت بشخصية قوية استطاعت فرض رأيها على زوجها المهدي لذا كان الخليفة للأعوام 158-169 هـ/775-785م ،بإبعاد بعض حاشيته عن مناصبهم التي أنيطت بهم او إعفائهم وعزلهم بصورة نهاية (القفطي،2005م،ص81) ، مثلما جرى مع الطبيب جبريل بن بختيشوع ت213هـ/828م اذ صارت تصنع في مناكدته مع طبيبها أبو قريش (اسمه يعقوب بن ماسه او ماسويه ويعرف أيضا بعيسى الصيدلاني لم يذكر المؤرخون تاريخ ولادته او عام وفاته ،وهو من الأطباء النصارى ،عمل طبيبا خاصة للخيزران وبعض الخلفاء العباسيين ،ابن أبي أصيبعة ،د.ت،ص215؛ص257) فاضطر زوجها لإعادته لدياره (القفطي،2005م،ص81) ، ولما تعارضت تطلعاتها مع ولدها موسى الهادي 169-170 هـ/ 785-786م الذي صار الخليفة بعد أبيه انتهى به المطاف مقتولاً ،بعد ان منعها من النظر في أمور الدولة (الطبري،1967،ط2،ج8/ص206؛مسكويه،د.ت،ج3/ص489).وفي ذلك أكد المستشرق الفرنسي اندري كلو دور (اندري كلو : صحفي ومؤرخ فرنسي ولد في عام 1909م في مدينة غرونوبل الواقعة في جنوب شرق فرنسا، وخلال الأعوام 1936-1945م، عمل وكالة هافاس الإخبارية ، وما بين عامي 1943-1945 في راديو برازافيل ،ومن ثم انتقل الى العمل في وكالة فرانس برس حتى تقاعده ، وترجم له عدد من المؤلفات سيلمان القانوني ، توفي عام 2002م ، شبكة الإنترنت مقال منشور على موقع ويكيبديا الخيزران في اغتيال ولدها بقوله: "من الأرجح أن يكون قد سقي سماً بطيء المفعول دسته أمه في شرابه..." (كلو ،1986،ص47) .

ويرى المستشرق البريطاني هيو نايجل كينيدي Hugh Nigel Kennedy (هيو نايجل كيندي :مؤرخ بريطاني ولد عام 1947م ،نال درجة البكلوريوس من جامعة كامبردج عام 1969م،ثم نال درجة الدكتوراه عام 1978م من كلية الدراسات الشرقية، من مؤلفاته المترجمة الفتوح العربية الكبرى كيف غير انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه، فضلا عن كتاب بلاط الخلفاء الذي كان موضوع اطروحته في الدكتوراه ،بعنوان السياسة والنخبة السياسة في بدايات العصر العباسي ،الفاضلي ،2022م،ص 43-44) أنها أمست المرأة الأولى في البلاط بقوله: "أمست المرأة المسيطرة التي لعبت دوراً مهماً في حياة البلاط العباسي، وتاريخها الحافل يعني أنها استطاعت ان تجتذب قدراً كبيراً من انتباه الإعلام ،ولأنها قضت معظم حياتها في السر في العالم المنعزل للحريم ،كان معظم ما كتب عنها، بدون شك هو عبارة عن تخمين وخيال ولكن الصورة في حد ذاتها تثير الاهتمام ومعظم التفاصيل الخيالية تتماشى تماماً مع الحقائق التاريخية المعروفة عن حياتها." (كيندي،2009،ص 244) بيد انه لا يتطرق تماما الى زوجتي السفاح واخيه أبو جعفر و يبدو لنا ان أثر النساء في حياتهما جلي ، فعندما اعتلى السفاح دست السلطة ،وظهر ذلك في عقد زواجه من ام سلمة المخزومية (أم سلمة المخزومية : هي سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله تزوجت ،عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ت102هـ/720م ، ثم ابن

عمه أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ت132هـ/750م ،وانتهى بها المطاف زوجة لابي العباس السفاح ، (الدار قطني،1986،ج1/ص3995م) شرطت ان يقسم في العقد ان لا يقرب غيرها حرة او أمة ووصف المسعودي تسلطها عليه بقوله:" وغلبت عليه غلبة شديدة ، حتى ما كان يقطع أمراً إلا بمشورتها وبتأميرها حتى أفضت الخلافة اليه ،فلم يكن يدنو إلى النساء غيرها لا إلى حرة ولا إلى أمة ، ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها" (المسعودي،2005،ج3/ص361) . ويبدو ان سبب لجوء هذا النساء لهذا الأسلوب لأنها ترغب بأن تكون الخلافة في ذريتها وحسب لذا لم تكن لتسمح للخليفة بتعدد زيجاته . فضلاً عما عرفت به النساء من الغيرة في حال تعدد الزوجات او الجواري والمحظيات (Matthew Gordon& Kathryn A. Hain 2017 ,P62)

لذا سعت للبقاء سيدة البلاط الأولى وبلا منافس . فضلاً عن ذلك وبغض النظر عن القسم الذي أدلى به أبو العباس السفاح أنها كانت تتمتع بشخصية قوية استطاعت فرض رأيها وإقناع خليفة العباسيين الأول ، لذا لم يتردد في قبول طلبها او يمتنع عن رفضه بغض النظر عن ماهية طبيعته.

حتى إن المأمون الذي عد من أكثر العباسيين دهاءً كان يذعن لطلبات النساء ،فبعد تزوج ببوران ابنة وزيره الحسن بن سهل ،شفعت الأخيرة لأم شقيقه زبيدة في السماح لها بأداء مناسك الحج (ابن طيفور،2002،ص115؛ مسكويه،د.ت،ج4/ص158) وبينت المستشرقة مارينا تولماتشيفا Marina Tolmacheva (مارينا تولماشيفا: استاذة التاريخ في جامعة ولاية واشنطن ،نالت دجة البكلوريوس من جامعة سانت بطرسبرغ ، ودرجة الدكتوراه من الاكاديمية الروسية للعلوم ،وهي متخصصة في التاريخ العربي والحضارة الإسلامية ،ولها العديد من المساهمات والتأليف بلغت 50 مقالاً ،شبكة الإنترنت مقال منشور على موقع جامعة ولاية واشنطن) دافع المأمون بقبول طلبها تخوفه من إثارة الشغب وتبدل الرأي العام في الأماكن التي أنشأت فيها زبيدة أعمالاً خيرية (هامبلي،2014،ص 206) ،وهذه الخطوة لم تكن الأولى من نوعها فتأثير النساء في قرارات المأمون كان واضحاً ،عبر علاقته بجاريته عريب المأمونية التي أتقنت لعب الشطرنج فضلاً عن الغناء والشعر ودورها كاتبة لرقاعه، وكانت ذا حظوة عند الأخير ،حتى ان مكانتها وصلت لدرجة الشفاعة في الأعيان والمقربين منها في مجلسه (ابن طيفور،2002،ص150-151).

عدّ المستشرق البريطاني هيو نايجل زواج المهدي العباسي من الخيزران بمثابة خرق للقواعد والقيود التي عرف بها البلاط العباسي لأنها في الأساس جارية أعتقت وصارت شريكة لحياته (كيندي،2009،ص244) ، فعمه أبي العباس السفاح ووالده المنصور كانا ينحازان الى الاقتران وعقد الزيجات من الحرائر ذات النسب العربي الأصيل ومن دون مصدر أخر رغم العروض التي قدمت اليهما بزواجهم من جواري عرفن بجمال الشكل والمظهر ،(المسعودي،2005،ج3/ص261-263؛حسن،60،2013) .

في التأثير السياسي للنساء لا تقل زوجة المتوكل 232-247 هـ/847-861م شغب ت321هـ/933م وأم ولده المقتدر 295-320 هـ/ 908-932م عن الخيزران شأناً ، إذ كان لصغر سن ولدها حجة في إدارة سياسة الدولة وشؤونها ان فسح الأمر لها للتصرف بالملك بما يحلو لها ويظهر ذلك من قول المسعودي الذي نقد الوضع بقوله :"لم يعان الأمور، ولا وقف على أحوال الملك. فكان الأمراء والوزراء والكتاب، يدبرون الأمور، ليس له في ذلك حل ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم" (المسعودي،د.ت،328) . وفي ذلك يرى المستشرق البريطاني هيو نايجل كينيدي أنها كانت واحدة من أربع نساء ذوات أثر في البلاط العباسي بقوله:"هنالك أربع نسوة سيطرن على

الحريم في أيامهن ، وتركن سمعة في الأدبيات التاريخية والذاكرة الشعبية وهؤلاء هن : الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي وهارون، وزبيدة زوجة هارون وأم الأمين وقبيحة أم المعتز وشغب أم المقتدر"(كيندي،2009،ص244) ويبدو لنا أن ذلك غير صائب فكما أشرنا لدور أم سلمة زوجة أبي العباس السفاح وأثرها في اتخاذ قراراته ،لم تكن أم موسى الحميرية ،(أم موسى الحميرية : هي أروى بنت منصور الحميرية ، تزوجها المنصور في القيروان أيام بني أمية ، وكانت تزوجت قبله بأحد ولد من عبيدالله بن العباس ، ابن عبد ربه،1983م،ج5/ص271) زوجة المنصور بأقل من ذلك ،إذ اشترطت عليه بمثل ما صنعت أم سلمة وأخذت عهدا عليه مكتوباً ،وعلى الرغم من محاولات المنصور اليائسة التملص والتهرب والحنث بالعهد الذي بينهما باستفتاء فقهاء العراق والحجاز ، إلا أن أم موسى كانت على علم بما يصبو اليه المنصور، فتبطل ما يتوق إليه بما تمنحه للفقهاء من أموال (الطبري،1967،ج8/ص87-88؛ابوت،1969،ص 28) .

أما دور زبيدة زوجة هارون ، فلم تحظ باهتمام مماثل في دراسات المستشرقين لمحدودية دورها السياسي قياسا بنظيراتها المؤثرات في القرار السياسي وجل الأنظار توجهت نحو طبيعة علاقتها الزوجية بهارون الرشيد او أعمالها الخيرية (كلو ،1986،ص70-71؛ مروزي،2023 ، 73-75؛كوك ،2014،ص 48؛ هامبلي، 2014،ص 203-206) .

واستعان أبو جعفر المنصور بالنساء في تقصي أحوال الناس، فقد استعمل العجائز من النساء مستغلاً كبر سنهن كعيون لهم على العامة بحكم أنهن لا يثرن الشكوك والريبة و يكسبن تعاطف الناس لتقدمهن في العمر ،فمن خلال ما ينقلن من أخبار لم تكن أحوال البلاد وأسرار الناس تخفى عليهم (سبط ابن الجوزي،2013ح18/ 288) ،وقد أوكل أبو جعفر المنصور لبعض النساء أن يكونن عيون له في معرفة تحركات محمد ذو النفس الزكية (البيهقي،د.ت،ص 72) ،حتى ان المأمون له ببغداد وحدها اكثر من الف عجوز لا ينام حتى يسمع اخبار الناس منهن (النويري،2003،ج22/ص 239؛المقريزي،2006؛ج4/ص194) .

على أي حال انحاز المستشرقون في هذا العهد لدراسة الشخصيات البارزة من النساء على مستوى البلاط أكثر مما في نساء عامة المجتمع ذاته وترى المستشرقة السويدية بيرنيلا ميــرن Pernilla Myrne (بيرنيلا ميرن : مؤرخة سويدية ولدت عام 1968م ، ونالت درجة الدكتوراه وسمت ب السرد والنوع والسلطة عن المرأة في الأدب العباسي ، توجهت اهتمامها لدراسة النساء والجنس في العالم الإسلامي منذ البدايات حتى الوقت الحاضر، شبكة الإنترنت مقال منشور على موقع جامعة غوتنبرغ)

إن حكم العباسيين شهد تراجع دور المرأة العربية الحرة أمام نفوذ وسلطة الجواري، &Matthew Gordon (P53 Kathryn A. إن حكم العباسيين شهد تراجع دور المرأة العربية الحرة أمام نفوذ وسلطة الجواري، Matthew (P53 Gordon& Kathryn A. Hain 2017) ،ولا نتفق رأيها تماما لأن اهتمامات المؤلفين من مؤرخين وأدباء او حتى فقهاء المسلمين بتدوين بسير نساء النخبة وأخبارهن (رودد ،2013،ص29) ، وأفردوا عنوانات اختصت بتراجم النساء المسلمات ونشاطاتهن ، بالرغم من انه لم يصلنا من هذا اللون من التأليف إلا النزر اليسير، إذ وضع ابن طيفور ت280هـ/893م كتاباً أسماه "بلاغات النساء" لم يبين لنا سبب تدوينه ، أما باقي المؤلفات فمدونوها كانوا أدباء ذكروا أخبار العاشقين، وقد وردنا في ذلك كتاب القينات للجاحظ ، و"كتاب النساء" لابن قتيبة الدينوري 276 هـ/889م وبالإمكان تفسير الاهتمام لتدوين أخبار النساء عند فئة الأدباء بخاصة الجواري والمحظيات لبراعتهن بما امتلكن إما لجمالهن أو طبيعة الخلق ،او ما امتلكته هذه الشريحة من مؤهلات وموهبة لم يجدها الرجال في أزواجهم كعذوبة الصوت وإلقاء الشعر

،حتى دفعت الرجال شباناً وشيوخاً للتهافت والإقبال عليهن (فارمر،2010،ص 32) . وفي ذلك يرى المستشرق البريطاني هيو نايجل كيندي هذا الإقبال بقوله:"كن يسلين ويدخل السرور على أسيادهن وأصدقائهم مثل الهتاراي عند قدماء الاغريق والجيشا عند اليابانيين التقليديين ،فعدد كبير من هؤلاء الجواري المغنيات كن متدربات أحسن تدريب وماهرات وذكيات وكن الحاملات الرئيسيات لثقافة البلاط الى جانب الندماء الذكور في تلك الفترة...." (كيندي،2009،ص 236) .

وثمة تأليف وضع بناء على رغبة أرباب السلطة مثلما صنع أبو الفرج الأصفهاني بتأليفه كتاب الإماء الشواعر امتثالا لطلب الوزير المهلبي ت352هـ /963م وتضمن فيه أخبار النساء الشواعر في العصر الأموي والعباسي (الاصفهاني،د.ت،ص21) ،وكتاب أخر هو " نزهة الملوك والأعيان في أخبار القيان والمغنيات" تعرضت بعض أجزاء مقدمته للتلف فحال دون معرفة سبب الأصفهاني لتأليفه (الاصفهاني،1989، ص 37)

وهنالك عنوانات وضعها فقهاء الشام إلا أنها وصلت الينا من عصر متأخر إبان حكم المماليك، اقتصرت أعمالهم بذكر الصالحات من النساء كأخبار النساء لابن قيم الجوزية ت751 هـ/1350م فضلاً عن ابن المبرد (ت909هـ/1053م) بعنوان "نجوم المسا تكشف معاني الرسا للصالحات من النسا) ، ونعزو اهتمام المؤلفين في العور الإسلامية بالترجمة لهذه الفئة لما أحدثته من أثر إيجابي في المجتمع الإسلامي لكونهن أجزن رواية الحديث الشريف او حافظات للكتاب الكريم ،كما أن كثير من الفقهاء تتلمذ على يد بعض المحدثات، لكن رغم ذلك لا نجد ميلاً واهتماماً ممن ألف لأخبار النساء بوضع سيرة مفردة لإحدى نساء المسلمين في الاطار الزمني لموضوع بحثنا من اللاتي تصدين لهذا الدور مثلما صنعوا مع مشايخهم بالترجمة لهم في كتب مفردة !!

أما بالنسبة لنساء البلاط فابن النديم أورد لنا كتاباً للمدائني ت225هـ /843م وعنونه "من تزوج من نساء الخلفاء"،(ابن النديم،1997،ص 131) قدر له ان لا يصل لأيدينا ، إلا أننا نجد أخبارهن متناثرة بين مصنفات المؤلفين رغم ما بذلته السلطة في التشجيع على التدوين والتأليف بما يخدم مصالحها كما اشرنا لذلك فيما مضى ، و بواعث أخرى دفعت المسلمين للبت بتدوين أخبارهن بصورة أكثر إيجابية، منها البيئة التي نشأ فيها المسلمين التي اتسمت بكونها دينية محافظة لا تميل للحط من قدر زوجاتهم (هاليفي،2024،ص 35) . فضلاً عن باعث أخر ،اذ شهد هذا العصر تعاظم الشعوبية، وانجرف شخصيات كثر بغض النظر عن انتمائهم المعرفي ، فقد وضع ابي البختري (ابي البختري : وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ، ولا يعرف تاريخ ولادته ، ذكره ابن سعد بانه من أهل المدينة ، وخرج منها قاصداً الشام ، ثم قدم بغداد وتولى قضاء عسكر المهدي ، ثم عزله وولاه أمر المدينة المنورة ، عد بكار بن عبد الله الزبيري ت256هـ /869م ، وعرف بضعف روايته الحديث ،ابن سعد ،2001،ج7/ص 239-240؛الخطيب البغدادي،ج15/ص 625-633) كتاباً عد من المفقودات اسماه "فضل العربيات على الحضريات"(ابن النديم،1997،ص133) .

باللجوء الى التحليل النفسي للفرد العربي وهو طابع الغيرة والحرص الشديد على نسائه لذا اتصف التدوين عن أخبارهن بصورة هي الأقرب الى التكتم والسرية إذ إن المرأة في نظر المسلم مستودع لشرفه ؛فحتى الشعراء امتنعوا عن ذكر أسماء محبوباتهم بحكم العرف الاجتماعي الذي كان مستشريا بين المسلمين واذا ما حل ذلك فتعتبره الأسرة او العشيرة خدش للشرف (هامبلي،2014، 16-17؛ جرونيباوم ،د.ت،ص335) ، ونستشهد بما أورده الصابي ت384 هـ/994م في رواية يطول سندها بقوله :"كنا بحضرة أبي عمر القاضي (ابي عمر القاضي : هو الحسين بن عمر بن أبي عمر القاضي أبو محمد بن الحسين ، تولى قضاء بغداد في عهد الراضي ،وأبقاه الخليفة المتقي 329-333هـ/940-944م بضعة

اشهر ،ثم عزله وانتقل الى أصفهان ،واستقر بيزد حتى توفي بها سنة 362هـ/ 972م ،مسكويه،د.ت،ج14/ص217-218) ، فجرى ذكر ابن الجصاص وغفلته، فقال أبو عمر: معاذ الله ما هو كذلك، ولقد كنت عنده منذ أيام مسلما، وفي صحنه سرادق مضروب، فجلسنا بالقرب منه نتحدث، فإذا بصرير نعل من خلف السرادق فصاح: يا غلام جئني بمن مشت خلف السرادق الساعة، فأخرجت إليه جارية سوداء. فقال: ما كنت تعملين هاهنا؟ قالت: جئت إلى الخادم أعرفه أني قد فرغت من الطبيخ، وأستأذن في تقديمه. فقال: انصرفي لشأنك. فعلمت أنه أراد أن يعرفني أن ذلك الوطء وطء سوداء مبتذلة، وأنها ليست من حرمه ولا ممن يصونه، فيزيل عني أن أظن به مثل ذلك في حرمه، ..." (التنوخي،د.ت،ج1/ص26).

ونرى أن السبب الذي نما اهتمام المؤرخين والفقهاء لكتابة سير النساء وإعطاء صورة إيجابية لهن، لشيوع ظاهرة الانحلال الاجتماعي وتبدل عاداته وقيمه المحافظة، التي لم يكن قد ألفها المسلمون في العصرين اللذان سبقا حكم العباسيين وبخاصة عند السلطة وحاشيتهم من الموظفين او المتزلفين من الشعراء والأدباء الذين ذكروا أخبار النساء بما لا يتفق مع الشرع الإسلامي من حيث ذكر أخبار تنم عن الخلاعة والمجون في تلك المدونات أما بأبيات شعرية او روايات تاريخية .

ويبدو أن مادة تلك النصوص التي ارتبطت بتراجم المرأة النساء عند المؤلفين رتبت على نحو طبقي او فئوي فلنساء السلطة النصيب الأكبر ،ثم الجواري والمحظيات ،فالبارزات في المجتمع من المحدثات وزاهدات ومتصوفات، وبالكاد نساء العامة بالكاد نجد لهن تراجم وأخبار تجعل لنا سبيلاً لمعرفة شخصياتهن وأدوارهن بصورة أكثر تفصيلاً (كينيدي،2009،ص243) على مستويات أخرى برزت أسماء لنساء نبغن وتوفقن بالشعر كليلى بنت طريف الشيبانية ت200هـ/815م التي رثت أخاه الوليد بن طريف الذي عارض الخلافة العباسية وقتل في عام 179هـ/ 790م (البصري،د.ت،ج1/ص228-229؛ابن ايدمر ،2015،ج7/ص465-466) ، إلا أن الإماء من الشواعر لم نجد لأثرهن اهتماماً عند المستشرقين الذي تصدوا لدراسة الأدب والفنون الإسلامية ، إذ إن تلك الاعمال انصبت على جهود الشعراء الرجال والبارزين منهم (مثل ذلك كل من أ.م. فيلشتنسكي ، الأدب العربي ؛ رينتولد ، أ،نيكلسون ، تاريخ الادب العباسي) ، ما خلا عنان الناطفية التي بحثت في سيرتها المستشرقة السويدية بيرنلا ميرن ، وبينت انجذاب شعراء الغزل لسرعة البديهة و مجاراتها لهم ، حتى إن براعتها لفتت أنظار البلاط العباسي ، وبشكل عام تلفت النظر الى أحوال الجواري في سوق النخاسة او حتى بعد انتقال الى الاستقرار للعيش في بيت سيدها الجديد ، فأدى لخلق جو من المشاحنات الأسرية بين الزوجة و الجارية ، تتبين من خلال التنافس الشديد في إثبات مكانة المرأة عند الزوج او السيد ،بغض النظر عن الانتماء الطبقي للأسرة ، (Matthew Gordon& Kathryn A. Hain 2017, P59 (ومما يؤيد هذه الرؤية سعي زبيدة لإبعاد عنان الناطفية عن مخيلة زوجها هارون بعد أن أمسى لهجاً بذكرها (الاصفهاني،د.ت،ج23/ص88).

وميزة هذا العهد بروز شخصيات من النساء كان لهن دور وأثر في نشاطات الزهد والتصوف كرابعة العدوية التي عرفت بأنها من أوائل المتصوفين وفي طليعة الصفوة بزهدها وعبادتها.فضلا عن أنها كانت بداية لمرحلة إبداعية في التصوف الإسلامي اذ كان لها اثر في حياة اتباعها ومعاصريها كمعروف الكرخي ت200هـ/ 815م الذي عرف بكراماته (شيمل،2006؛ص64)،وتلفت المستشرقة البريطانية مارغريت سميث Margaret Smith(مارغريت سميث: مؤرخة بريطانية ولدت في عام 1884م ،وهي الأخت السادس في عائلة مسيحية وهي الأخت السادسة من بين سبع أخوات ،في 1916م نالت درجة الدبلوم من جامعة أكسفورد بصفتها معلمة ،لتكون بعد ذلك أستاذة التصوف الإسلامي في كلية الدراسات

الشرقية للمدة1930–1932م ،وإبان الحرب العالمية الثانية قامت بتدريس الجنود اللغة العربية ،توفيت في عام 1970م، شبكة الإنترنت مقال منشور على موقع ويكيبديا عبر الرابط أدناه:

الى كون رابعة العدوية لم تكن تلقت تعاليم التصوف على يد أحد المشايخ بل ان لها طريقتها الخاصة بالتقرب الى الخالق جل وعلا ،كما حظيت باحترام أقرانها ممن سلكوا ذات الطريق (Smith,2001,P71) .

أما بالنسبة الى المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل Annemarie Schimmel (مؤرخة ألمانية ولدت عام 1922م ،في أسرة مسيحية على المذاهب البروتستانتي ميسورة الحال على المستوى المادي ،إذ عمل أباها بائعاً للخبز ،ومن طفولتها كانت آنا ميالة لتاريخ الشرق ومعجبة بكل ما هو روحي منه ،وفي عام 1939م بدأت الدراسة في جامعة برلين وهي في عمرها السابع عشر ،وبتشجيع أستاذها هاينريش شايدر أتمت دراستها لتنال درجة الدكتوراه عن منصب الخليفة والقاضي في مصر أواخر العصور الوسطى ،وهي في عامها التاسع عشر ،ثم دخلت السلك الدبلوماسي وعملت في وزارة الخارجية الألمانية ،وبحلول عام 1954م نالت درجة الدكتوراه الثانية من جامعة ماربورغ في تاريخ الأديان ،ثم انتقلت بعد ذلك الى تركيا ثم الى أمريكا ،لتعود الى بلدها الأم حتى وفاتها عام 2003م ،شبكة الإنترنت ،مقال منشور على موقع ويكيبديا)

فترى أن سبب الاهتمام برابعة العدوية دون الأخريات هو ما نسب اليها من كرامات مبالغ فيها لم تسجل لقريناتها في عهدها على الرغم من وجود الكثير من أسماء النساء اللاتي لمعن في التصوف)شيمل،2016،ص65–75) .

الخاتمة :

بينت الدراسة أن آراء المستشرقين جاءت متباينة من مستشرق الى آخر وبني هذا الاختلاف نتيجة اختلاف التوجهات الفكرية لكل منهم.

أكد المستشرقون على دور المرأة وأثرها في الساحة السياسية حتى باتت تؤثر في صناعة القرار السياسي الصادر عن مؤسسة الخلافة على الرغم من القيود التي عرف بها المسلمون .

بالمقارنة مع واقع المرأة في العصور الوسطى الأوربية فإن حضور المرأة المسلمة ومشاركتها في الحياة العامة هو نقيض ما روج له الخطاب الاستشراقي .

قائمة المصادر والمراجع :

- **المصادر الأولية :**

• ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة ت668هـ1270م :

1- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،د.ت

• الأصفهاني ،علي بن الحسين ت356هـ/976م :

2- الأغاني ،تحقيق إبراهيم السعافين وأخرين ،دار صادر ،بيروت–د.ت.

• ابن ايدمر ، فلك الدين أبو نصر محمد بن سيف الدين ت710هـ/1310م :

3- الدر الفريد وبيت القصيد ،تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية ،بيروت–2015م

• البصري ،علي بن أبي الفرج بن الحسن ، ت659هـ/1260م :

4- الحماسة البصرية ،تحقيق مختار الدين أحمد ،عالم الكتاب ،بيروت–د.ت.

• البيهقي ،إبراهيم بن محمد ت320هـ/932م :

5- المحاسن والمساوئ د.ت –د.م

• التنوخي ،المحسن بن علي بن محمد ت384هـ/994م :

6- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ،د.ت–د.م

• ابن الجوزي ،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي يبن محمد ت597هـ/1201م :

7- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية، بيروت–1992م

• الخطيب البغدادي :أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت 463هـ/1071م

8- تاريخ بغداد او كما يعرف ب تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريديها تحقيق بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت– 2002م

• الدارقطني ،علي بن عمر بن احمد ت385هـ/995م :

9- المؤتلف والمختلف ،تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت–1986م

• ابن سعد ،محمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ/845م):

الطبقات الكبرى، تحقيق : علي محمد عمر ،مكتبة الخانجي ،القاهرة–2001م.

سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي بن عبد الله ، ت654هـ/1256م

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق إبراهيم الزيبق وآخرون، دار الرسالة العلمية ،دمشق–2013م

• الطبري، محمد بن جرير ت310هـ/923م :

تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف،ط2،القاهرة –1967م

• ابن طيفور ،أحمد بن أبي طاهر ت280هـ/893م :

كتاب بغداد ،تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي ،ط3 ،القاهرة–2002م

• ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه ت328هـ/940م :

العقد الفريد، د.ت ،دار الكتب العلمية ،بيروت–1404م

• القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف ت646هـ/1248م :

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت–2005م

• المسعودي ، علي بن الحسين بن علي ت346هـ/957م :

التنبيه والأشراف ، تحقيق :عبد الله الصاوي، دار الصاوي ،القاهرة–د.ت

مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تحقيق كمال حسن مرعي ،المكتبة العصرية ،بيروت–2005م

• مسكويه ،أحمد بن محمد بن يعقوب ت421هـ/1030م

–تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،د.ت–د.م

• المقريزي ،أحمد بن علي بن عبد القادر ت845هـ/1442م :

المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت–2006م

• النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت721هـ/1278م :
نهاية الأرب في فنون الأدب ، د.ت، دار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة–1423م
• ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق ت384هـ/994م
الفهرست ،تحقيق إبراهيم رمضان ،دار المعرفة ،بيروت–1997م

– المراجع الثانوية :

اولاً– المراجع باللغة العربية:

• **أبوت ،نابيا :**
–ملكتان في بغداد الخيزران ام هارون الرشيد وزبيدة زوجته ،ترجمة عمر أبو النصر ،مطبعة النجوى ،د.م–1969م
• بالتا،بول واخرون :
الإسلام والقرآن محاولة لمناقشة أفكار شائعة عن الإسلام في الغرب، دار المدار الإسلامي ،بيروت–2023م
• حسن ،سولاف فيض الله :
دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية ،صفحات للدراسات والنشر ،دمشق–2013م
• رودد ،روث :
النساء في التراجم الإسلامية ، ترجمة عبد الله إبراهيم العسكر ، جداول للنشر والترجمة ،بيروت –2013م
• شيمل ،أنا ماري:
الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ،ترجمة رضا حامد ومحمد إسماعيل السيد ،منشورات الجمل ،بغداد–2006م
روحي أنثى ،الأنوثة في الإسلام ،ترجمة لميس قايد ،الكتب خان للنشر ،القاهرة–2016م
• فارمر ،هنري جورج :
الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة ، ترجمة حسين نصار ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،2010م
• جرونيباوم ،جوستاوف ،أ:
–حضارة الإسلام ،ترجمة عبد العزيز توفيق الجاويد ،مكتبة مصر ،د.م–د.ت
• كاهن ،كلود :
الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور الدولة العثمانية. ترجمة حسيين جواد قبيسي ،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،2010م
• هامبلي،غافن :
المرأة في العصور الإسلامية الوسطى ،ترجمة أحمد طلعت وآخرون ،الشبكة العربية للأبحاث ،بيروت–2014م.
كلو ،اندري :
33–هارون الرشيد وعصره ،تعريب وتعليق: محمد الرزقي ،المعهد الفرنسي للتعاون ، تونس –1986م
• كوك ،ريتجارد :
34–بغداد ،مدينة السلام ، ترجمة فوائد جميل ومصطفى جواد ،دار ومكتبة عدنان ،بغداد–2014م
• كينيدي ،هيو :

35–بلاط الخلفاء: قيام وسقوط أعظم أسرة حاكمة فى الإسلام، ترجمة فائزة إسماعيل أكبر ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة–2009م

• ماروزي ،جستن :

36–بغداد مدينة السلام ومدينة الدم ،ترجمة غسان مازن ،نابو للنشر والتوزيع، بغداد–2023

• هارتمن ،مارتن :

37–عالم الإسلام ،تاريخ،عقيدة،فقه، ترجمة محمود كبيبو ،دار الوراق ،د–م، 2021م

• هاليفي، ليور :

38–قبر محمد طقوس الموت وتكوين المجتمع الإسلامي ، ترجمة هلال محمد الجهاد ،المركز الأكاديمي للأبحاث ،بيروت–2024م

–المراجع غير المترجمة :

• Amari, Michele:
History of the War of the Sicilian Vespers, Kessinger Publishing,2007.
• Brown, Elizabeth A:
The Monarchy of Capetian France and Royal Ceremonial, Variorum,1991.
• Esposito , John L & DeLong-Bas, Natana J:
Women in Muslim Family Law,2nd edition, Syracuse University Press,2001.
• Kotapish,Dawn:
Daily Life in Ancient and Modern Baghdad, Lerner Pub Group,2000.
• Fleming, Peter:
Family and Household in Medieval England, Red Globe Press,2000
• Gordon , Matthew S &Hain, Kathryn:
Concubines and Courtesans: Women and Slavery in Islamic History, Oxford University Press,2017.
Lowry , Colleen A:
Marriage and Divorce in Late Fourteenth Century Jerusalem, A Master Thesis unpublished, History department , Portland State University – 2007
• M. Setton,Kenneth & W,hazard:
A History of the Crusades, University of Wisconsin Press,1975.
• Nicol,Donald:
The Last Centuries of Byzantium,2nd edition, Cambridge University Press,2008.
• Rosenthal,Franz
Fiction and Reality: Sources for the Role of Sex in Medieval Muslim Society Society and the Sexes in medieval Islam, los Giorgio Levi Della Vida Conference 1977 University of California.
• Schein ,sylvia:
Fideles Crucis: The Papacy, the West, and the Recovery of the Holy Land, 1274-1314, Oxford University Press,1991.
• Smith, Margaret:
Rābiʿa the Mystic & her fellow-saints in Islam, Oneworld Publications.2001.

البحوث والمقالات:

الربيعي،وسام محمد عبود والقريشي مروة علي حسين :

تمكين المرأة في الشعر العباس (نساء البلاط أنموذجا) ،مجلة كلية التربية ،المجلد 56، العدد1، ج1 ، 2024م.
DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol56.Iss1.3951

مواقع الانترنت :

:gu.se

https://www.gu.se/en/about/find-staff/pernillamyrne

:Wikipedia

https://fr.wikipedia.org/wiki/Andr%C3%A9_Clot

https://en.wikipedia.org/wiki/Margaret_Smith_(orientalist

)https://en.wikipedia.org/wiki/Annemarie_Schimmel

:wsu.edu

https://public.wsu.edu/~tolmache